

بين الفقه الاسلامي والروماني

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

رئيس المجيع العلمي العربي

..... وقع نظري على ما كتب أخيراً في مجلة (الرسالة) بشأن علاقة الصرع الاسلامي بالصرع الروماني ، وقد كان بعض الفضلاء من الشبان المسيحيين حملة الشهادات الحقوقية السالفة - منذ بضع سنوات - كتب في (مجلة قضائية) تصدر في منطقة سورية محتماً السياسة (منطقة الملونين) وهي متصرفية اللاذقية - كتب في هذا الموضوع كتابة خفيفة تدل على أن القوم يريدون أن يجردوا الاسلام ونشأته من الزايا القدسية . وقد رددت عليه يومئذ بهذا المقال ، وسلكت في الرد سلكاً ربما أعجب الباحثين لديكم ؟
المغربي

لقيني بعض الأصدقاء في سوق الحميدية فغذيتني من يدي إلى مخزني وقال : تعال انظر
وإذا هو يريني العدد ٢٢ من مجلة « الأبحاث القضائية في دولة الملونين »

وإذا في فاتحتها مقال للسيد ميشيل بولص حامل رتبة العالمية (الدكتوراه) في الحقوق ، وإذا موضوع المقال « الوكالة الدورية »
وإذا نتيجة الموضوع - كما تلخصها كاتب المقال - ما نصه :

« إن الوكالة الدورية إنما هي طريقة رومانية . وشكل هذه الوكالة وأصولها وكيفية استعمالها هي هي عند العرب المسلمين كما كانت عند البيزنطيين . و « السنة » في الاسلام ما هي إلا مجموعة القوانين الرومانية في عصر الفتح العربي . وإن البدأ الساري منذ الأجيال بين علماء الغرب والشرق بأن الشرع الاسلامي مستقل تام الاستقلال عن بقية الشرائع اللاتينية - ليس إلا أسطورة لا أساس لها . . . والأجديث الاسلامية مختلفة اختلافاً بدليل أن الامام الأعظم أبا حنيفة لم يعترف إلا بسبعة عشر حديثاً من أربعائة ألف حديث » - ١٥

هذا ما صرح به الأستاذ ميشيل بولص في بلادنا العربية

وكان يسود ذلك المجتمع الروماني الرفيع يومئذ نوع من الفساد الشامل ، وتقلب فيه حياة الفجور والمرح ؛ وما قولك بمجتمع يقدم فيه سيده وزعيمه الروحي - البابا - أسوأ المثل الأخلاقية ، فيصطنع الخليلات جهاراً ، وينزع الزوجات من أزواجهن ؛ ويقتني فيه شيوخ الدين من كراذلة وأساقفة الخليلات جهاراً ، وتتنقل فيه الزوجات الشرعيات ، زوجات الكبراء والأمراء بين أحضان المشاق من مختلف الطبقات ، ويضمره ظمأ التهنك والخلاعة ، ويتفعل في حفلاته وفي مرحة ومجونته كل مظاهر الخسمة والحياء ؟ هكذا يصف لنا بوركارت (١) مجتمع رومة في عصر آل بورجيا . وقد كان بوركارت يومئذ مدير التشريفات البابوية ، وكان شاهد عيان لكثير من الحوادث والمظاهر والظروف التي امتاز بها العصر ؛ وقد ترك لنا من حوادث عصره ومجتمع عصره مذكريات نفيسة منعمود إليها من أن لآخر

كانت لوكريسيا بورجيا من آلهة هذا المجتمع ؛ وكان يشور حولها من الريب والظنون ما يشور عادة حول « إلهة » للرجال والحب . هل كانت هذه الفتاة الشقراء الفاتنة التي لم تجاوز السابعة عشرة من عمرها كما تصورها الرواية الماصرة بتيماً سافلة تتقلب بين أذرع عشاق لا حصر لهم ؛ بل تتقلب بين ذراعي أبيها - البابا - وبين أذرع إخوتها ؟ أم ظلمتها الرواية وبالنسبة في اتهامها اعتماداً على ظواهر خادعة ؟ هذا ما سنحاول أن نناقشه في البحث

محمد هيب الله عنانه
المهامي

لبحث بقية
التقل ممنوع

(١) في كتابه أو مذكراته اللاتينية المسماة Diarium أو « اليوميات »

ظهر حديثاً كتاب :

في أصول الأدب

صفحات من الأدب الحلي والآراء الحديثة

بقلم

احمد حسن الزيات

يطلب من إدارة مجلة الرسالة ٢٢ شارع البدوي - القاهرة
وتمت ١٢ قرشاً صاعاً خلاف أجره البريد

لا ينبغي لنا أن نتسرع في الحكم بأن الشريعة الأولى اقتبست من الشريعة الثانية مباشرة، ولا سيما إذا كان هناك أسباب جوهرية تدل على عدم إمكان هذا الاقتباس:

إذ كيف يتصور من أئمة الاسلام الذين حرموا التصوير ابتعاداً عن الوثنية - أن يقتبسوا أحكاماً مدنية من شريعة وثنية، وهم يعتقدون أن العمل بهذه الأحكام المدنية عبادة يتقرب إلى الله بها كما يتقرب إليه بممارسة الصوم والصلاة!

خلفاء الاسلام إنما رحبوا بالفلسفة اليونانية لأن نظرياتها لا رائحة للديانة الوثنية فيها. أما الآداب اليونانية والميثولوجيا والتمثيل والأبلياذة والفنون الجميلة فلم يجرؤ الخلفاء على ترجمتها إلى لغة الاسلام، وذلك لأنها مشبعة بروح الوثنية، ومشرية بروح عقيدة تعدد الآلهة. فهل يعقل أن يجرؤ أئمة الاسلام الأتقياء الورعون على انتحال شرائع وثنية تتعلق بالحلال والحرام، ويدخلونها في فقه الاسلام، وهم يعتقدون أن كل حكم شرعي لا يستمد من محمد (ص) وقرآنه وسنته باطل بل كفر.

كل إمام من الأئمة الأربعة كان يبرر نفسه رافعاً صوته أمام الجماهير من المسلمين بأن مذهبه وسننه في استنباط الأحكام إنما هو القرآن وحديث النبي (ص) الذي ثبتت صحته، وإلا فإنه يقيس الحكم على حكم آخر مستنبط من حديث بطعن إليه قلبه بهذه الصورة من الاخلاص والورع والتمسك بتعاليم محمد (ص) حاز الأئمة ثقة المسلمين كلهم، فوَقروهم وعظموهم وقلدوا مذاهبهم ولم يعولوا على غيرها من المذاهب

وقد بلغ الورع في هؤلاء الأئمة حدًا لم يقع مثله في أمة من الأمم. حتى إن أبا حنيفة سجن وضرب ولم يتول القضاء مذ بلغه أن نبيه قال: «من تولى القضاء فكأنما ذبح بغير سكين»؛ وأحمد بن حنبل لم يأكل البطيخ طول عمره لأنه لم يبلغه كيف كان نبيه (ص) يأكله: «أيقطعه بالسكين ويتناوله قطعة قطعة، أم يمسك الحزة بيده ثم يتناولها بأسنانه؟

أئمة هذا ورعهم وتشددهم في تقليد نبيهم في الأشياء المباحة؛ أيتصور في العقل أن يحيدوا عن شريعته إلى الشريعة الوثنية، شريعة الأباطور الروماني «يوستينيانوس» فيستندون إليها في تقرير أحكام الحلال والحرام التي هي الطريق الوحيد إلى الجنة

وبلغتنا العربية.. فكيف ترونه يقول لو أراد أن يكتب عن الشرع الاسلامي في بلاد أجنبية بلغة أجنبية؟

هذا ما قاله عن السنة النبوية بين ظهراى قوم توفروا من علوم الدنيا على حفظ تلك «السنة» والاستيثاق من صحة أسانيدها، والتقرب إلى الله بخدمتها. ثم بمد هذا كله يقول الأستاذ ميشيل عنهم إنهم لم يعملوا شيئاً سوى أنهم أوجدوا للعالم في السنة نسخة ثانية من مجموعة القوانين الرومانية. فكيف تكون جرأته أو أمانته في النقل إذا أراد أن يكتب لنا مقالاً في علم يجمله المسلمون سكان هذه البلاد كل الجهل؟؟

يقول بعضهم: ولكن الكاتب إنما كتب في مجلة تصدر في بلاد العالوين للعالوين. واطنناه! كأن بلاد العالوين في عالم الريح وليست جزءاً من وطننا؟

وكأنتا لسنا على مقربة من بلاد العالوين نسمع وزرى؟ وكأنه لا يوجد في بلاد العالوين فقهاء راسخون، وحقوقيون متضلعون؟ كان العالوين إنما سُمِّوا عالوين من أجل أن يُطمَنتوا في كرامتهم، ويُساوَمُوا على إسلاميتهم!

وأية كرامة تبقى إذا قيل لهم: إن «علياً» الذي اشتق اسمكم من اسمه الكرم ما كان يقاتل ويناضل لأجل تأييد سنة الاسلام، وإنما كان يقاتل ويناضل من أجل تأييد سنة «يوستينيانوس» ملك الرومان؟ وبمد، فإذا اقتضت حالة الرومانيين الاجتماعية أن يستندوا في بعض معاملاتهم على «الوكالة الدورية» فقرروا أحكامها في قوانينهم، ألا يوجد في الاجتماع الاسلامي حالة تشبه تلك الحالة تستدعى تقرير أحكام الوكالة الدورية في فقه المسلمين أيضاً؟

لا جرم أن طبائع الأمم والشعوب وأخلاقها وأطوارها مترشحة من ينبوع «الانسانية» الأعظم.

والانسانية مهما اختلفت أبنائها في ظواهر الاجتماع، يقون متحدتين في جواهر الأخلاق والمعادن والطباع

والشرائع سواء أكانت سماوية أم وضعية إنما تستند إلى هذه الأخلاق والمعادن، فكثيراً ما تشابه الشرائع بين الأمم بسبب

تشابه الأمم نفسها فيما ذكرنا من الأخلاق والمعادن فإذا وجدنا في الشريعة الاسلامية أحكاماً تشبه أحكاماً

مقررة في الشريعة اللاتينية مثل «إن البيع يتم بإيجاب وقبول»

وهم كما دونوا في كتبهم الفقهية أحكاماً تشبه الأحكام الرومانية دونوا أيضاً أحكاماً تشبه أحكام شرائع الفرس والترک والتتار الطورانيين وغيرهم من الأمم التي فتحوها بلادها

فمن جملة القواعد في مجلة الأحكام الشرعية :

« إن الحاجة سواء كانت عمومية أو خصوصية تنزل بمنزلة الضرورة ، ومن هذا القبيل تجوز « البيع بالوفاء » فإنه لما كثرت الديون على أهالي بخارى جوزت هذه المسألة لداعي الاحتياج » اهـ . فهل يقوم أحد من الكمالين فيزعم أن « البيع بالوفاء » شريعة طورانية عمل بها أئمة الاسلام كما عملوا « بالوكالة اللورية » التي هي شريعة رومانية في رأى الأستاذ ميشيل !

إذا رأينا الشاعر العربي « معروف الرصافي » وافق « كيلنغ » الشاعر الانكليزي في بعض معانيه الشعرية المتكررة فهل يسوغ لنا أن نقول إن ديوان « معروف » هو نفس ديوان « كيلنغ » مع أن شاعرنا لا يعرف الانكليزية ، ولا عاش في وسط انكليزي ولا اجتمع بكيلنغ ولا برواة شعره ، وإنما هو توارد الخواطر

ونحن إذا راجعنا تاريخ حياة أئمة الاسلام نراهم قد عاشوا في محيط اسلامي محض : الكوفة ، وبغداد ، ومكة ، والمدينة ؛ نعم سكن « الشافعي » مصر ودفن فيها ، لكنه جاءها قبل وفاته بنحو خمس سنين

فأئمتنا ما عرفوا لغة لاتينية قط ، ولم يدرسوا فقهاً لاتينياً قط ، ولم يباشروا مشرعين لاتينيين قط ، ولو لوحظ من أحدهم شيء من ذلك لسقط اعتباره وتحماته الملون ، ولما كان امياً واجب الاتباع

ومن العجب قول الأستاذ ميشيل إن « السنة » في الاسلام ما هي إلا مجموعة القوانين الرومانية ؛ إذن كان محمد (ص) عضواً في مجلس المشرة الذين جمعهم الملك « يوستينيانوس » تحت رئاسة الفقيه الروماني « تريبونيان » فقام في الحجاز وانتحل ماتعلمه من القوانين الرومانية التي وضعها المجلس الروماني وبشر بها المسلمين !!!

ذكرت بهذا ما كنت سمعته من القوماندان الفرنسي « ميلانجو » مدير مدرسة الترجمة في دمشق (وقد توفي) - قال لي : إن بعض أهل بلادنا (يعني الأوربيين) يتحدثون أن « محمدًا »

والنار ؟ وقول الأستاذ ميشيل إن أبا حنيفة لم يعترف إلا بسبعة عشر حديثاً ليس معناه ما ظن . وإنما المعنى أن هذه الأحاديث القليلة هي التي بلغت في الصحة والثبوت ما يقرب من درجة القرآن . وإلا فإن بقية الأحاديث الأخرى لها درجتها . وبحسب هذه الدرجة تستنبط منها أحكام ليست في وجوب العمل بها كوجوب العمل بأحكام الأحاديث التي ثبتت صحتها عند الامام أبي حنيفة ، بدليل أن تلاميذ هذا الامام (أبو يوسف ومحمد وزفر) الذين دونوا فقهه وشرحوه مذهبه كانوا يتمدون في استنباطهم على أحاديث أخرى غير القليل الذي اعترف به أبو حنيفة بعد أن يرضوها على قواعد فن « مصطلح الحديث » . على أنه لو فرض أن أبا حنيفة لم يعترف إلا بأحاديث قليلة لكان ذلك من أدلة ورعه وحرصه على متابعة نبيه (ص) ، فهو يخشى أن يعمل بحديث لا يثق بصدوره عن النبي ، وهذا هو السبب في انكاره الكثير من الأحاديث ، فهو قد أنكرها تورعاً وخشية ألا يكون تابع النبي (ص) ، ولم ينكرها استهتاراً وجنوحاً الى شريعة الرومانيين الوثنيين

أحاديث مروية بالسند : فلان التابي الجليل عن فلان الصحابي الكريم ، ولكل واحد منهم ترجمته وسيرته ، يتورع أبو حنيفة فلا يثق ببعض ما روى عنهم ، ثم هو بعد ذلك يجيز لنفسه العمل برواية بطرس عن فيلبوس عن نيقولاوس عن الملك « يوستينيانوس » !!! سبحانك هذا بهتان عظيم !

لما فتح المسلمون البلاد التي كانت خاضعة للرومانيين وجدوا لأهلها عادات راسخة ، وأحكاماً متوارثة ، فأقروهم عليها ، وبمضها ينطوي تحت أصول الاسلام الثابتة بالقرآن ، وعمل النبي (ص) والصحابة : مثل « المادة محكمة » « المروف عرفاً كالشروط شرطاً » ، « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » ، « استعمال الناس حجة يجب العمل بها » ، « التعمين بالعرف كالتميين بالنص » فإذا اعتبر أئمة الاسلام تلك الأحكام اللاتينية التي يعمل بها سكان تلك البلاد وأقروهم عليها ، ثم دونوها أو دونوا نظائرها في كتبهم الفقهية ، لا يكون ذلك منهم اعترافاً بشرائح اللاتين وإذعاناً لها ، وإنما هو منهم عمل بأحكام مستندة الى القواعد الاسلامية من القرآن وسنة النبي (ص)

الجمال في الشعر والحب

(المرأة)

للأستاذ الحوماني

صاحب مجلة الروية البيروتية

الجمال وحى الطبيعة يُلهمه الشاعر من أبنائها ليكون صلة بينهم وبين المثال الأعلى في الحياة . فهو رسول أمه الطبيعة يرسل بنات أفكاره إلى قومه فترفع يمينها حجاب الغفلة عنهم ، ثم تمر بها على أعينهم فتمسح عنها غشاها الجهل ، وتقابلهم يسارها بمرآة الحياة فيتبينوا فيها من نفوسهم البائسة رموزاً تشير لهم إلى مُثل الحياة العليا

والشاعر ينشد الجمال في كل شيء فيفتن بكل جزئ منه ، ولكنه أشد امتناناً بما هو إلى الروح أقرب منه إلى المادة ، ولا أقرب إلى الروح من هذا الذي يشاركه الشعور بالحياة وينشد معه ذلك الجمال

يفتن بالمرأة التي هي رمز الجمال التام في الحياة ، يفتن بها للجمال ، ويفتن لها بكل مافي الحياة من جميل يشعربه . فالجمال التام علة لفتنة الشاعر بالمرأة ، أما المرأة فهي علة لفتنته بكل ما يشير إلى هذا الجمال الكلي من جمال جزئي في نبات أو جماد ، فالشاعر ينشد الجمال في الحياة ولن يظفر به كما يشاء إلا عن طريق الحب :

وهل المرأة إلا رمز الحب الخالد ؟

الشاعر كالطائر يخلق في أفق الجمال ، وكما يقع الطائر على الشجر يفتن عن الثمرة الناضجة ليتقوم بها ، حتى إذا بلغها وقف حياها يداعب الروض من على فنته ، هكذا يقع الشاعر على المرأة إلهة الجمال يستلهمها الشعر فيشخص إليها وهي بميته تمر على وجهه بيدها البضة ، وتمسح عينيه بينان يحس روحها من ورائه ترف على أهدابه

فهو من أجلها « يصمد الرابية ، والقمر يهبط من عليائه ، فيقترش التراب ، ويتوسد الصخر ، يصنى إلى نجمي الكواكب فيستوحى منها الشعر ثم يلهمه الطبيعة ؛ حتى إذا تنفس صبحه ،

كان أسقفاً مسيحياً ، فطمحت نفسه إلى رتبة كهنوتية فوق رتبته ، ففضب عليه البابا غرمة ، فادعى النبوة نكابة به !!! قال لي المرحوم ميلانجو هذا القول مستغرباً مستحياً بعد أن عاشر فضلاء المسلمين في الجزائر ودمشق ، وفهم حقائق كثيرة عن الديانة الإسلامية جعلته على قاب قوسين من اعتناقها والأعجب من قول الأستاذ ميشيل السابق قوله الآخر : « إن الأحاديث الإسلامية مختلفة اختلافاً » ، أي إنها كلها مكذوبة على النبي

لكن أيصح من حضرته هذا الحكم الجائر على الأحاديث لوجود طائفة من الأحاديث موضوعة مكذوبة ؟ إن دعواه هذه كدعوى أحد المسلمين أن الأناجيل الأربعة باطلة لا أصل لها ، لأن هناك أناجيل وهي المسماة « أبو كريف » موضوعة لا أصل لها !!

والعجب الثالث ، (وهو لعمري مثار للدهش أيضاً) قول الأستاذ ميشيل :

« إن البداء الساري منذ الأجيال بين علماء الغرب والشرق بأن الشرع الإسلامي مستقل تمام الاستقلال عن بقية الشرائع اللاتينية ، ليس إلا أسطورة » !!

إذن قام الأستاذ ميشيل في « وجه علماء الغرب والشرق » يفهمهم حقيقة يجهلونها ، ويبرهن على كذب أسطورة يزعمونها وهي أن شريعة الإسلام شريعة لاتينية !!

أدرك هذا هو وحده ، وجهله علماء الشرق والغرب !! ولذن يحق لي أن أنسحب من ميدان البحث وأترك الكلام فيه لعلماء الشرق والغرب ، فلعل فيهم من يقدر بزلاقة لسانه ونصاعته يباه أن يقنع حضرة الأستاذ ويفهمه خطأه

ألى هذا الحد يجهلنا ابن وطننا الأستاذ ميشيل بولص ويجهل تاريخنا الديني ؟

أيصح لأبناء أمة واحدة ، في بقعة واحدة ، أن يجهل بعضهم بعضاً كل هذا الجهل ؟

وأخيراً أقول : إن ابن وطننا الأستاذ ميشيل لم يسيء إلى الأمة الإسلامية وكرامتها ، بقدر ما أساء إلى « الدكتوراه » وشهادتها .

عبد القادر المقرئ